في الأدب العربي

عكاظ والمربد

للأستاذ احمد أمين

تتمـــة

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه ؛ جاء في الاغاني « وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة » (١)

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغاني أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشـــعر في هجاء الفرزدق والراعي ، فما زال كذلك حتى كان السـحر وقد قالها ثمانين بيتا في بني نمير فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم أصبح حتى اذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد ـ وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا فادهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا وقصد مجلسهم وأنشدها فنكس الفرزدق وراعي الابل (٢)

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعني جريرا والفرزدق والأخطل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم ، فالعجاج الراجز يخرج الى المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس مجتمعين ، ويقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الأله فجبر »

ويهجو ربيعة فيأتي رجل من بكر بن وائل الى أبي النجم ويستحثه على الرد عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القلب وجهلا ماذكر »

ورؤية الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الأعماق خاوى المخترق »

ويجتمع حوله فتيان من تميم فيرد عليه أبو النجم في رجزه :

« اذا اصطبحت أربعا عرفتني » (٣)

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتادينار ؛ وينشد ودموعه تجرى على لحيته :

« ما بال عينك منها الماء ينسكب » (٤)

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويسخف بعض تشبيهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط (٥) .

والامراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقد يهيجون بعضهم على بعض خدمة لاغراض حزبية او سياسية فعبد الملك ابن مروان يأمر أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق . وعباد بن حصين ـ وكان على أحداث البصرة ـ يعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح (٦)

وهكذا كان المربد في العهد الأموي معهدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص . وكاد هذا الشعر يكون امتدادا للشعر الجاهلي . لاتحاد الاسباب والبواعث ، فأما الشعر الغزلي كشعر عمر بن أبي ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر في المربد لانه فوق النزال والمهاجاة والمفاخرة . فليس مجاله حياة المربد التي وصفناها.

المربد في العصر العباسي :

بقي المربد في العصر العباسي . ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذي كان يؤديه في العهد الأموي . ذلك أن العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للعرب. وأحس العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم امة لافرق بين عدنانيهم وقحطانيهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم ، وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والامراء عن مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم

---

(١) أغاني ٧ ـ ٤٩ (٢) اغاني ٧ ـ ٥٠ (٣) انظر الاغاني ٩ ص٧٨ ومابعدها .
(٤) أغاني ١٦ ـ ١٢٣ (٥) أغاني ١٦ ـ ١١٣ (٦) أنظر الكامل للمبرد

تزاحم الأدب والشعر ؛ وفشا اللحن بين الموالى الذين دخلوا فى الاسلام ؛ وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ؛ فتحول المربد يؤدى غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة

أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لاليتهاجوا ؛ ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية ، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ؛ فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدونون مايسمعون ، روى القالى فى الأمالى عن الأصمعى ، قال : « جئت الى أبى عمرو بن العلاء فقال لى من أين أقبلت ياأصمعى ؟ قال جئت من المربد ؛ قال هات مامعك ، فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحى ؛ فمرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو فى الدرجة وقال : ـ شمرت فى الغريب ـ أى غلبتنى » (١) .

والنحويون يخرجون الى المربد يستمعون من أهله مايصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة فى النحو وتعصب كل لمذهبه ؛ وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد ؛ وفى تراجم النحاة تجد كثيرا منهم من كان يذهب الى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الأدباء الى المربد يأخذون الأدب من جمل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ؛ كما فعل الجاحظ ؛ يقول ياقوت : ان الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش واخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد (٢) .

وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برنامجها فى العصر العباسى عن برنامجها فى العهد الأموى وأدت رسالة فى هذا العصر تخالف رسالتها فى العصر السابق

آخر الأخبار عن المربد :

فى ثورة الزنج التى ظهرت فى فرات البصرة والتى بدأت سنة ٢٥٥ هـ حدث قتال بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة ، فاحترق المربد ؛ روى الطبرى قال : يقول ابن سمعان : فانى يومئذ لفى المسجد الجامع اذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه : زهران والمربد وبنى حمان فى وقت واحد ، كأن موقديها كانوا على ميعاد ، وجل الحطب وأيقن أهل البصرة بالهلاك (٣) .

وتوالت فيه الحرائق وعوتب شاعر البصرة أبو الحصين بن المثنى على أنه لم يقل شيئا فى حريق المربد ؛ مع أن المربد من أجل شوارعها ، وسوقه من أجل أسواقها ، فقال ارتجالا فى آخر حريق لها :

أتتكم شهود الهوى تشهد ... فما تستطيعون أن تجحدوا
فيامربديون ناشدتكم ... على أننى منكم مجهد
جرى نفسى صاعداً نحوكم ... فمن أجله احترق المربد
وهاجت رياح حنينى لكم ... وظلت به ناركم توقد
ولولا دموعى جرت لم يكن ... حريقكم أبداً يخمد (٤)

ويذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٩ أن سيف الدولة صدقة بن مزيد تقاتل مع اسماعيل فنهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر . . . ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد . فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة بأهل البلد سوى من ذكرنا (٥) .

ويقول ياقوت « إن المربد كان سوقا للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وهو الآن : (عاش ياقوت حتى سنة ٦٢٦ هـ) — بائن عن البصرة ؛ بينهما نحو ثلاثة أميال ، وكان مابين ذلك كله عامرا وهو الآن خراب ، فصار المربد كالبلدة المفردة فى وسط البرية » .

ثم عفا أثر المربد ، ولم نعد نجد له ذكرا ذا قيمة ، وأخنى عليه الذى أخنى على عكاظ ؛ ومات بموته معهدان أدبيان اتصلت حياة الثانى منهما بحياة الاول فقاما نحو ستة قرون يخرجان شعراً وأدبا ونقدا كان من خير تراث العرب ؟

١» الامالى ٣ ص ١٨٢
٢» معجم الادباء ٦ ص ٥٦
٣» الطبرى ٣ ص ٢٥٧ وما بعدها طبعة أوربا
٤» معجم البلدان
٥» الكامل لابن الاثير جزء ١٠ ص ١٥١ طبع بولاق

الثورة العرابية
خلاصة تاريخها ومكانها من النهضة القومية المصرية
بقلم فخرى أبو السعود فى الآداب
كتاب يجب أن يقرأه كل مصرى
ليتال صورة كاملة لكبرى حوادث تاريخنا المصرى الحديث
الثمن ٥ يطلب من المكاتب الكبيرة بالقاهرة
ومن المكتبة العباسية برأس التين بالاسكندرية
ومن مكتبة على محمد شنب بالسكة الجديدة بطنطا